

عبدالله فلبى - رحمه الله - والتميز الدنيوي

بسم الله الرحمن الرحيم

(1) سألتني أخ عزيز (قبل أيام) عن حقيقة إسلام (فلبى) - هاري سانت جون ثم عبد الله -، ولأن الله وحده يعلم ما يكنه قلب أي منّا، ولأننا مأمورون بالرد إلى الله والمرسول عند التنازع فقد بينت له أنه لا يجوز لنا إعلان المشك في حقيقة إسلام مسلم نطق بالشهادتين، وحج البيت المحرام سنوات عديدة متتالية (في موكب الملك عبد العزيز رحمه الله)، وكان يصوم رمضان في سفره المريد عبر الربيع الخالي رغم معرفته بجواز الفطر في السفر رغم فطر بعض مرافقيه من البدو، وكان يَوْم مرافقيه في الصلاة إذا لم يكن في رفضه إمام أثناء رحلاته الكثيرة في جزيرة العرب، وأوصى أن يقبر في مقابر المسلمين لو مات خارج الجزيرة (ربما لأنه يعلم بشك الكثير من المسلمين في إسلامه قبل غيرهم)، وقد غضب النبي صلى الله عليه وسلم على حبه وابن حبه (أسامة بن زيد رضي الله عنه) لأنه شك في حقيقة إسلام مشرك كان يقاتل في صفوف المشركين ثم نطق بالشهادة (خوفاً من السيف في ظن أسامة رضي الله عنه) فقتله، فردد النبي صلى الله عليه وسلم: "هلا شققت عن قلبه" حتى تمنى أسامة أنه لم يكن أسلم بعد، ليضمن المغفرة.

(2) ويروي عن الشاعر خالد الفرج تجاوز الله عنه أنه خلد شكّه في نَظْمه (يقول ساءلْتُ فلبى ... فقال: سِرِّي بقلبي) وقلب كلمة (فلبى): (يَبْلُف) تجاوز الله عنهما (من رواية الزركلي رحمه الله)، والمزركلي ممن يشك (فيما يظهر من كلامه) في (فلبى)، وهو مثل أكثر المترجمين والمؤرخين) لا يوثق بأحكامه، فلم يضمّن ترجمته للملك سعود رحمه الله حسنة واحدة في أعلامه، ونسي أوليائه الدنيوية رحمه الله، ولما تكاد تحصى مثل: أول جامعة، وأول إسكان، وأول طريق عبر الجزيرة في اتجاه مكة المباركة، وأوليائه الدنيوية أعظم (وإن لم يهتم بها الزركلي) مثل: أول جامعة إسلامية عالمية، وأول كلية للشريعة في مكة (نواة جامعة أم القرى)، وأول كلية للشريعة في الرياض (نواة جامعة الإمام)، وأول نشر لفقّه ابن تيمية رحمه الله (مجموع الفتاوى)، وأول توسعة سعودية للمسجد النبوي ثم المسجد الحرام، والقائمة طويلة جداً.

(3) ولما شك أن ما قدمه (فلبى) للأرض والدولة المباركة خير مما قدمه المزركلي أضعافاً مضاعفة، أما الملك سعود رحمه الله في عدّ أحد المجددين في الدين والدنيا بعد محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود وعبد العزيز ابن محمد وسعود بن عبد العزيز وتركي بن عبد الله وفيصل بن تركي وعبد العزيز بن عبد الرحمن، وليس المزركلي وأمثاله أهلاً لقدره حق قدره. وعبد الله فلبى رحمه الله أول وأكثر من كتب عن الأرض المباركة والدولة المباركة، وهده الله للإسلام وهاجر إلى أرضه وأقام فيها قريباً من أربعين سنة كما بين في كتابه (أربعون سنة في البرية) على سوء ترجمته وسوء التعليق عليه فإذا ادعى (فلبى رحمه الله) أن قائد الطائرة انحرف عن الطريق الصحيح حتى أرشده إليه كتب المعلق: (كأن فلبى خبير بشؤون الطيران) ص 346، نشر مكتبة العبيكان سنة 1424. ولقد رأيت الطيار مرة يستشير (فلبى) عندما ضل عن مطار شقراء قبل أربعين سنة، ولكن بعد أن تجاوز شقراء فلم ير العودة من أجل راكب واحد (كاتب المقال)، فلا يحتاج الأمر إلى خبرة طيران بل خبرة أرض، ولما أظن سعودياً خبر أرضه مثل (فلبى)، والأمثلة كثيرة في هذا الكتاب وغيره تدل على تحامل الأكثريّة العربيّة وعدم اهتمامهم بالثبوت قبل الحكم على الناس كما أمر الله، وسوء ظنهم.

(4) بل لقد رأيت كثيراً من العرب (الإخوان المسلمين - الفلسطينيين منهم خاصة) أثناء احتلال حزب البعث العراقي (لا رده الله) الكويت وتهديد دول مجلس التعاون يرفضون ويفترون على خير ولادة العرب والمسلمين (منذ القرون المفضلة) بأنهم من أصل يهودي، وقد لا يفقهون أصلهم العربي العريق، ولكن كيف يغيب عن مداركهم أن كبار الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم كانوا عباد أوثان ولم يبخسهم ذلك من أجورهم شيئاً فالمهم الخاتمة، وهؤلاء الولاء وحدهم ميزهم الله في القرون الثلاثة الأخيرة بإحياء مناهجهم والثبات عليه ونشره. وكيف لا يفقه المرء أنهم هم أنفسهم من أصول يهودية أو نصرانية أو مشركة وأنهم جانيبوا ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلم يأمرُوا بإفراء الله بالعبادة ولا بالسنة ولا نهوا عن الشرك بالله في عبادته وما عما دون ذلك من المبدع، وهم يولدون ويعيشون ويموتون بين أوثان المقامات والمزارات وتحيط بمساجدهم وعبادتهم المبدع بل يحتفي رئيس (حماس) بوثن الخميني يقرب له قرباناً من الزهور ويصفه بأنه أبوهم الروحي، بل أخذوا من أجداده الشيعة: الثورة على المحاكم فادعوا أنهم شاركوا في الثورة المصرية، واتهموا بقتل النقراشي قبلها ومحاولة اغتيال جمال عبد الناصر بعدها، وعندما اغتال ابن الوزير الإمام يحيى في اليمن واغتصب الولاية لم تؤيده دولة مسلمة ولا كافرة ولا هيئة ولا جماعة غير حزب الإخوان المسلمين أرسل وفداً رافقه المشؤم عليه وكان مفتي فلسطين الحزبي الإخواني في ألمانيا يؤدي النازية حتى سقط الثالثة.

(5) عبد الله فليبي رحمه الله (مثل محمد أسد رحمه الله) أحب جزيرة العرب التي لم تتغير حياتها الدنيوية منذ مئات القرون، وكان الملك عبد العزيز رحمه الله يعجب من اختيار محمد أسد المسافر من الحجاز إلى نجد على الجمل واختيار عبد الله فليبي الانتقال من الطائف إلى مكة على البغل أو الحمار بطريق الهدا. وكلا الرجلين تحول إلى الإسلام - الأول من اليهودية، والثاني من النصرانية - وكلاهما كان مقرباً عند الملك عبد العزيز ومجلس مشورته، وكلاهما لم يتخذ ذلك مهنة ولا وظيفة ولا سبيلاً لكسب معاشه كبقية من اختير من العرب لهذا الشرف عدا كبير المستشارين الأمير عبد الله بن عبد الرحمن رحمه الله. ويخطئ المعلق على كتاب (فليبي: أربعون عاماً في البرية) ص 19: (فليبي) يؤكد أنه لم يصرف له مرتب شهري أبداً من الحكومة السعودية، والمعلق يخطئ في دعواه بحجة أنه ذكر أكثر من مرة إهانة الملك عبد العزيز له (رحمه الله) أحياناً، وفرق بين الراتب الشهري وبين الإهانة أحياناً التي كان يحصل عليها فليبي ومحمد أسد وغيرهما لا يحصي عددهم إلا الله. وتمنى كل منهما ألا تؤثر الثروة البترولية الوليدة على استقلال البدوي (والحضري أيضاً) واكتفائه بنمط حياته الفطرية ومعيشته وثقافته وألا يطغى على كل ذلك ثقافة الغرب ونمط حياته الاستهلاكية. وهذه أمنية عظيمة ولكنها لا تقبل التنفيذ، فأكثر الشعوب ساخطة ولو: (أعطوا من هاهنا) فكيف بهم لو (لم يَعْطُوا مِنْ هَاهُنَا)؛ (وقل ليل من عبادي المشكور)، ومن شهادة الملك عبد العزيز رحمه الله فليبي رحمه الله (ومعه السبيعي): (أن رجلين اثنين عملاً معه عشرات السنين ولم يطلبوا منه أجراً ولا منحة: عبد الله فليبي وعبد الرحمن السبيعي) رحمهم الله جميعاً. (أربعون عاماً في البرية) ص 45 ترجمة ونشر العبيكان، وعندما اتفق معه الملك عبد العزيز على بيان حدود المملكة المباركة مع اليمن سأله عبد الله بن سليمان وزير المالية ثم سأله الملك عبد العزيز رحمه الله جميعاً كم يحتاج من المال للتنفيذ وكان جوابه: لا شيء، عندي ما يكفي.

(6) ولكن محمد أسد لم يَطل به المقام في الأرض المباركة ولم ينافس أحداً في التجارة واختار المتفرغ للدعوة بما سُمِّيَ خطأ بالفكر الإسلامي، وبذلك سلم من المنازعة ووراءها المخاصمة. وذكر لي الأمير سلمان وفقه الله أن ولادة الأمر حافظوا على صلتهم به في المغرب ثم بأهله بعد وفاته رحمه الله وكان الملك عبد العزيز رحمه الله يشبه فليبي بالمعارضة في البرلمان البريطاني، لأنّه أكثر مستشاريه معارضة له مع فرط إعجاب به.

(7) أما فليبي فكان له صفات (إضافة إلى المنافسة التجارية والسياسية) أكسبته العداوة وسوء الظن به والضيق بمقامه في كل مكان إلا قليلاً: وقف ضد الحكومة البريطانية في الحرب العالمية الثانية موقفاً أحرجهما (وأخرج معها الدولة السعودية التي اختار الهجرة إليها) واتهمته دولته البريطانية بالانهزامية وعدم الولاء وتجسست على خطاباته لوالدته وابنته وزوجته وعلى تحركه السياسي وقررت اعتقاله (من وثائق المخابرات البريطانية 1929 - 1948 التي أفرج عنها بعد مرور نصف قرن ونشرت في جريدة المشرق الأوسط بدءاً من ذي القعدة 1423).

8) ولد (فليبي) في سيلان (سريلنكا) لوالده المانكليزي - مُزارع شاي - أرسله والده الثري إلى انكلترا فدرس في جامعة كيمبرج وأظهر مهارة في دراسة اللغات فاختير للخدمة في الهند يوم كانت درة في التاج البريطاني ووصل إلى مرتبة مساعد المفوض البريطاني في منطقة البنجاب، ثم عين مستشاراً لوزارة الداخلية في بغداد أثناء الاحتلال البريطاني، وبعدها مندوباً سامياً لانكلترا في الأردن. كان لورنس (العرب) يراهن على الهاشميين (فيصل بن الحسين خاصة) لتوحيد الجزيرة العربية، وكان (فليبي) يراهن على الملك عبد العزيز بن سعود رحمه الله تعالى، ولم يصدقه المساسة في بريطانيا، وفي آخر مرة حاول إقناعهم وصفه اللورد كيرزن بالجنون، فغادر قاعة الاجتماع، وقال في نفسه: سننتظر وستعلمون! ولم يلبث إلا قليلاً حتى وصلت لوزارة الخارجية البريطانية برقيات عاجلة تؤكد أن جيش ابن سعود صار كالسيل الجارف لا يقف في وجهه شيء في جزيرة العرب، فاستدعت الخارجية (فليبي) واهتم كيرزن بالحديث معه وإرساله مبعوثاً بريطانياً يعرض على ابن سعود منحة (60,000) جنيه ولما يطلب منه في المقابل إلى السلام وضبط النفس (الموثائق المذكورة)، ومن أهم ما يحرص عليه الإنجليز في ذلك الوقت عدم مهاجمة العجمان الحدود العراقية والحسين أمير مكة رغم مهاجمتهما رعية ابن سعود، فصبر رحمه الله جازاه الله تعالى بالعز والنصر والتمكين.

9) يذكر (فليبي) في كتابه (أربعون عاماً في البرية/ص: 149) أنه استقال من منصب المفوض السامي في الأردن بعد الأخذ برأي (لورنس) تنصيب فيصل وعبد الله ابني الحسين بن علي (رحمهم الله) ملكين على العراق والأردن وبذلك نقضت بريطانيا وعدها بإعطاء الشعب حريته في اختيار حكومته. وتقول الوثائق البريطانية أن ابن سعود تجاهل التحذيرات البريطانية فدخل مكة كما رهن (فليبي)، فقررت انكلترا أن الشخص الوحيد المؤهل لتمثيلها لدى الملك عبد العزيز هو (فليبي)، وفي إحدى زيارته للملك خرج من مجلسه ليبرق إلى لندن باستقالته من الخدمة، وقطع كل علاقة له بها رسمياً. وفي تقييم الداخلية والخارجية والمخابرات البريطانية أن (فليبي) رجل غريب الأطوار، وأنه حرض ابن سعود على التشدد مع بريطانيا في مفاوضات عام 1928 وحول القضية الفلسطينية، وأنه فقد الولاء لبلاده، وألقي عليه القبض أثناء مروره بالهند، وأرسل إلى السجن في إنكلترا قريباً من عام أثناء الحرب الثانية، وأشيع أن المخابرات البريطانية كل فت ابنه (كلم) بالتجسس على أبيه، وقبيل موت فليبي التقيا في لبنان وتم الصلح بينهما ومات الأب بجانب ابنه، وربما كان فليبي أول من شهد علانية بأن المهاجرين من أوروبا إلى فلسطين ليسوا ساميين.

10) ولن يرضى عنه العرب لأنه رأى لهم قبول التقسيم الدولي، بل رأى قبولهم (150,000) مهاجر يهودي بشرط وقف الهجرة عند هذا الحد، ولن يرضى اليهود بذلك أيضاً ولو عاش (فليبي) إلى هذا اليوم لقال: العرب بعد خمسين عاماً يتمنون الآن الحصول على أقل من حدود التقسيم وأكثر من العدد الأقصى الذي اقترحه للمهاجرين، ولو عاش (السادات رحمه الله) لقال: إنهم يتمنون الآن الحصول على أقل مما كان يفاوض للحصول عليه من أجلهم، أما مصر فقد كسبت من مفاوضاته (سيناء) كاملة بأهميتها العظيمة، وبعد ربع قرن حصل الفلسطينيون بمفاوضات (أوسلو) على الجزء الأصغر (في الضفة وغزة)، وتسبب الإخوان المسلمون في تقسيمها ليتحقق لهم شبح دولة لا يعترف بها أحد، بعد أن لهثوا وراءها نصف قرن.

11) أحب (فليبي) الملك عبد العزيز وأرضه كما أحبهما (محمد أسد)، وسعى (فليبي) لتعريف العالم بهما أكثر مما سعى غيره من العرب والمعجم، وعرفت الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية قدر إنجازاته فمنحته ميدالية الشرف. واتهمته (صنعاء) و(حضر موت) بأنه يحاول إقناع الملك عبد العزيز بضم (حضر موت) إلى المملكة العربية السعودية لكثرة تجواله في المنطقة، ولكن النتيجة التي حققها لم تزيد عن كتابه: (بنات سبأ) ولما شك في أنه كان يتمنى أن يمتد حكم الملك عبد العزيز إلى اليمن وأثناء محادثات السلام بين السعودية واليمن إثر احتلال الجيش السعودي (الحديدة): وقف (فليبي) في طرف مجلس الملك عبد العزيز يبكي حزناً على قرار الملك سحب جيشه من اليمن، وإعادة ما أخذه بالقوة إلى الدولة اليمنية بمجرد المفاوضات، لا لأنه يحب الحرب بل لأنه يرى أن الملك عبد العزيز رحمه الله خير لليمن ولبقية العرب من أي حاكم منهم أو من غيرهم.

12) و(فليبي) صريح وعنيذ ومشاكس، و(مثل الأغلبيّة) معجب برأيه إلى درجة اتهامه بالغرور، وقد أوردته هذه الصفات سيء الموارد: وضعت المخابرات البريطانية عام 1940 في ملفه تقريراً عن نقده واحتقاره الحكومة البريطانية حاضراً وماضياً وانتهز أزمته وهدم

ولائه ومعارضته للحرب. في 1939 هبطت طائرة بريطانية اضطراريًا في حضرموت فقتل العرب جميع ركابها، فأيد فليبي ما فعله الحضارم بحجة أن الطائرة أرسلت إليهم لقتلهم. وأعلن أنه لم يكن على الحلفاء خوض الحرب، وأنهم لن يحققوا النصر، وأن بريطانيا تحولت إلى دكتاتورية لا فرق بينها وبين ألمانيا، وأنها حاکمت (11,000) مواطنًا رفضوا الحرب لأسباب دينية، وأن نشرات الأخبار البريطانية وضيفة ومزرية، وأن الأرقام التي تذيعها عن خسائر العدو في السفن غير صحيحة. وقام بحملة سياسية قوية لتغيير عزم حكومة العمال البريطانية على تقسيم المملكة المباركة الناشئة واحتضان معارضين للملك عبد العزيز. [قلت: وأبرز أولئك المعارضين الطامعين في الحكم وأخطرهم فيصل الدويش وكان آخر ملجأ له: العراق في حماية جيش الاحتلال الانكليزي، ويؤيد ذلك (محمد أسد) رحمه الله في كتابه (الطريق إلى مكة)، وكان الملك رحمه الله قد كلفه التحقيق في هذا الأمر فتابع التحقيق حتى وصل إلى الكويت ورأى بأم عينه دلائل تورط فيصل الدويش وعصابته في مؤامرة الانكليز تقسيم السعودية إلى أجزاء ودويلات ليس لها قدرة الملك عبد العزيز على تحديدهم. وأكد هذا الأمر مؤرخ تلك الحقبة: محمد العلي العبيد رحمه الله من مشاهداته وروايات مشاهدي الأحداث المتعلقة بعصيان الدويش وعصابته رحمهم الله. وروى المؤرخ (فيلكس مانجان) في كتابه (تاريخ مصر في عهد محمد علي) ترجم ما يتعلق بتاريخ الحملة التركية الألبانية على الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام عبد الله بن سعود: أ. د محمد خير محمود البقاعي ص 140-188): أن فيصل الدويش الأول جد فيصل الدويش الثاني كان من أكبر معاوئي (إبراهيم باشا) بالركائب والمؤن والرجال على غزو دولة الدعوة إلى التوحيد والسنة مقابل وعد (إبراهيم باشا) له بتعيينه حاكمًا للدرعية. ولكن إبراهيم باشا جازاه بما يستحق بعد أن تحقق له هدم الدرعية وقتل ونفي المثالث من الأمراء والعلماء، وبدلًا من أن يوليه حكم الدرعية كما وعده طلب منه دفع ضريبة عن الخمس سنوات الماضية، واستجاب فيصل الداهية - ظاهراً - وذهب برفقة ضابطين من جيش إبراهيم باشا لحضار المال، فلما وصلوا إلى مأمنه قال للمبعوثين: عودوا إلى سيدكم وقولوا له: إن إسهامي في هزيمة الدرعية لا يقل عن إسهام جيشه وأنه قابلني بالجدود، فإذا أراد شيئاً من شيخ مطير فليأت بنفسه ليأخذه منه في وسط قبيلته، ويقول (مانجان) بأنه كان في استطاعة فيصل الدويش هزيمة الأتراك وإنقاذ نجد ولكنه [أثر الخيانة طمعاً في الحكم كما سيفعل حفيده بعد مئة عام] رحمهما الله.

13) وبقي (فليبي) نحو أربعين سنة قريباً من مجلس شوري عبد العزيز بصفة غير رسمية. ومارس التجارة في السيارات والخيام (التي سميت باسمه بشيء من التحريف: ثلبيات) ولعب الأطفال وغيرها، وأشبع هوايته الجغرافية التاريخية الآثارية. وكان يخالف الملك عبد العزيز بصراحة أكثر من بقية مستشاريه ويتحمل وصف الملك له: مهبول أو كاذب. وكان الملك عبد العزيز يتحمل مخالفة مستشاريه ويصبر وإن ظهر غضبه أحياناً؛ يروي الزركلي أن أحد المستشارين (حسن الحكيم، ويسميه السببيعي: حسن الحكيم) أثار غضب الملك بالحاحه في المعارضة، فقال الملك: أجل أنا ما أفهم. فردّ مستشاره: بلي يا طويل العمر أنت تفهم ولكننا نفهم كذلك. فغادر الملك المجلس قريباً من ربع ساعة ثم عاد كأن شيئاً لم يكن. وبعد وفاة الملك رحمه الله (بل قبل ذلك بثلاث سنوات في رواية فليبي، وخمس في رواية حمد الجاسر رحمهما الله، عندما تولى ولي العهد سعود رحمه الله إدارة شؤون الدولة) ثم يشارك فليبي المستشارين ولو بصفته غير الرسمية كما يقول. كان فليبي يضيف إلى صفات الملك عبد العزيز المعروفة وأهمها أنه (المزعيم المؤمن بنصوص القرآن ووجد عليها معظم أرض وأهل جزيرة العرب) يضيف إليها ويزيده شغفاً به وتقديراً له أنه: (يكره الطقوس الاجتماعية، ويشتمز من المتدينين ومن قيم العصر المنحلة ومظاهر الترف، ويكون في أقصى سعاده عندما يفتersh الأرض بين أهله وأفراد شعبه). ومن حبه للملك عبد العزيز وللحياة الفطرية التي يعيشها البدو (وأكثر المحضر) الذين لا يحتاجون لغذائهم أكثر من اللبن والتمر، ولما يعرفون شيئاً عن كماليات العصر الحديث، لم يعد شيء يرضيه بعده، وبدأ ينشر استيائه على الملأ وهذا أسوأ ما في الأمر:

14) كتب فليبي في صحيفة الشؤون الخارجية في العاصمة الأمريكية مقالاً شهر 4 سنة 1954 بعد أشهر من وفاة الملك عبد العزيز رحمهما الله ملأه بالتشكي والتأفف والتنبؤ بسوء المصير لعهد لم يكذب يوماً، واتهم كبار الموظفين بصرف اهتمامهم لزيادة ثروتهم على حساب الوطن وتقديم مصالحهم الخاصة على المصلحة العامة، ولم ينس المقارنة بين شخصية الملك عبد العزيز وشخصيات خلفائه، بأسلوب تنقصه المبالغة بل ينقصه العدل. لا شك أن شخصية الملك عبد العزيز وإنجازاته متميزة ومعروفة في العالم كله، ولكن عهد أبناؤه مكمّل لعهدده وإعدادهم لتولي الأمر كان إنجازاً من خير ما من الله به عليه.

15) والملك سعود رحمه الله أكثر أولاد عبد العزيز شهباً بأبيهم، وأمضى عشرين سنة في الإعداد لعهد ولياً للعهد ثم ملكاً (11 سنة) وأنقذ الله به والده من خناجر اليمينيّين أثناء الطّواف، وبارك الله في الموارد المالية القليلة نسبياً (مليون برميل بسعر دولار وثمانين سنت في أحسن أحوالها) فتحملت همته العظيمة وحماسه المنقطعة النظير للجمع بين: نشر ميّزة الدولة السعودية التي فاقت بها جميع دول المسلمين منذ القرون الأولى (تجديد الدين بالعودة به إلى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم)، وبين: بناء الدولة الحديثة نظماً ومؤسّسات تعليمية وصحية وثقافية واجتماعية، ولما تزال نظمه ومؤسّساته شاهدة على بعض إنجازاته. يذكر حمد الجاسر (وهو مثل عبد الله قلبي في انصرافه عن العلوم الشرعية إلى المبحوث الجغرافية والتاريخية والتجارة بالفكر)، يذكر أن الملك سعود (رحمهم الله جميعاً) كان يلح عليه في التعجيل بفتح المدارس العصرية عندما كان معتمداً للتعليم في نجد، وعندما اعتذر بعدم وجود مدرسين ذكره بوجود مساجد وأئمة ومؤذنين في كل مكان ولن تحتاج المدرسة في أول نشأتها إلى أكثر من مدرس (الإمام) وخادم (المؤذن) حتى تبدأ كليتا الشريعة في مكة والرياض والمعاهد الدينية بالرياض في تخريج المعلمين.

16) اكتفى الملك سعود رحمه الله بمعاتبه (قلبي) على جهره بالسوء وليس على سوء ظنه بالمستقبل وقلة أدبه، احتراماً لحبه وصداقته والده. ولم يستفد (قلبي) من خطئه ومن صبر الملك سعود عليه فأصدر كتاباً عن تاريخ حياته في المملكة المباركة أول سنة 1955 زاد الطين بلة بل صيره وحلاً. وزادت الهوة بينه وبين زملائه المستشارين الذين شاركهم (وإن لم يكن موظفاً مثلهم) خدمة موطنه وموطنهم الجديد (وإن لم يحصل على الجنسية والراتب مثلهم): وجاءت المصيبة الثالثة (والثالثة ثابتة كما يقول المثل المصري) في آخر الشهر الأول من العام نفسه 1955 فألقى عدة دروس على موظفي شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) عن حياته وتجوّله في المملكة المباركة أكثر من 30 سنة (ويتحامل المعلق على ترجمة كتابه: (أربعون عاماً في البرية) فيسفه مدحه أرامكو وحسن إدارتها ومساهماتها في تطوير المملكة المباركة حضارياً ص 25، ولما شك أنها كانت قدوة صالحة لم يستفد منها موظفو الدولة وأنا واحد منهم إلا قليلاً، ولما شك أن الله نفعنا بها وبأمريكا من ورائها في اكتشاف البترول واستخراجه وتسويقه، وعندما صفق العرب لاحتلال الكويت وتهديد بقية الخليج (إسلاميوهم وعلمانيوهم وشيوهيوهم) أنقذ الله الخليج المتعاوني بالجيش الأمريكي وحلفائه - ولو حمايةً للبترول بملنا). وبدلاً من الماكتفاء بالعتاب في المرة الأولى وبمنع بيع الترجمة في الثانية طلب من (قلبي) مغادرة البلاد بعد رفضه نشر المترجم عن مقالاته، وإصراره على ذلك.

17) أقام في لبنان قبل أن يتمكن حسين العويني من إقناع قلبي بالاعتذار وإقناع الملك سعود بقبول اعتذاره والموافقة على عودته إلى بيته وأهله في المملكة المباركة بعد نحو أربعة أعوام من رحيله عنها. وحسين العويني مثل رفيق الحريري رحمهما الله حصلوا على الثروة بعد استيطانهما المملكة المباركة ثم حصلوا على رئاسة الوزارة في لبنان، وأشهد أن اللبنانيين والمعمانيين هم وحدهم الذين حفظوا الودّ والجميل فلم يعضوا اليد التي أطعمتهم مثل بقية العرب، وبخاصة أهل المسجد الأقصى المبارك وما حوله الذين نسوا أن المملكة المباركة قدمت لهم من العون ما لم يقدمه غيرها إلى درجة تعيين ممثل الحركة الفلسطينية ممثلاً لها في الأمم المتحدة ليخدم قضيتها قبل أن تحصل على مقعد خاص بها. وقد ساهم قلبي رحمه الله في مفاوضات المملكة المباركة مع شركات البترول، ومع شركة ماركني لربط أجزاء المملكة بالاتصالات البرقية، وفي علاقة المملكة ببريطانيا يوم كانت تحتل أكثر مناطق الخليج وأكثر البلاد العربية، وإن لم يكن المفاوضات الوحيد كما يحلو له أن يصف نفسه. ومع أنه عاد للإقامة في السعودية فقد أراد الله له أن يموت ويقبر في لبنان في إحدى رحلاته الكثيرة عام 1380 رحمه الله وأصلح من بعده ومنهم خالد وفارس تبعاه في الإسلام والإقامة في بلد التوحيد والسنّة، والله الموفق.

كتبه/ سعد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصيّن - 1431هـ